كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تنصروا الله ينصركم»

نعم هـذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع على المتأهبين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يحتاج في فكره ما يحتاج فكر الآخرين عينه أو شبهه لكنه يتهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه واطلاعه على أن له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير هيّاب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التربية والتعليم

﴿ قوانين التعليم الرسمي — انتقاد ﴾

(النبذة الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في النبذ السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين وودنا لو نعلم لنظارة المعارف عذراً نعذرها على تلك العيوب وضروب القصير ونتكلم في هذه النبذة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم

العيب العام الاكبر هو ماجاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة أممها الاوربيين كلهم فهي لاتجد لها دولة أوربية تقتدي بها . ولم تكتف بتعلم قواعد اللغة الاجنبية ومباديها بل زادت على ذلك تعليم مباديء العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبتدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكأن دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لامقصدا . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع .

ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لايري بازاء خصوط اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكأن « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنبية الى العربية تكون بالعكس والعناية الكبرى فيها باللغة الاجنبية ومعلموها هم معلمو اللغة الاجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنبية . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . ومما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنبية إهمال الكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنبية

الأمور التي تهم الامة في التعليم وتود انضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصيرها فيها من وجهين أحدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لاتحيا حياة حقيقية الا بجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعميم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممدة لحياتها المعاشية والقومية . واذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤن لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الامة تنازعا

ينفصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً الى العمل والعمل منبعثاً عن العلم الا اذا كان العامل عالماً ونتيجة هـذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العـلم الى لغة الامة وهو المعقول المقبول واما نقل الأمة الى لغة العلم الطارئ وهذا إعدام للأمة وجعلها غذاء وعمدة الأمة التي تتنقل الى لغتها وما اخال أن ناظر المعارف ورجال «ضماناته الخمس» من أمته يرضون بذلك سرًّا وجهراً فان كان هم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بلغتها وان كانوا مغلوبين على أمرهم للمستر دنلوب ومن ينصره فلا يعارضْ ناظر المعارف الجمعيـة العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابرْ نفسه وقومه بزعمه ان قوانين نظارته موافقة لمصحة الأمة ومؤيدة منها «بخمس ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الامم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والامة والوطن في الناشئين فبتعليم التاريخ كانت المانيـا المانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة ثم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرّفه حكيمنا الامام بقوله « العـلم ما يعرّفك من أنت ممن معك »

اذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الامم الاوربية بتلقين الناشـئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلا تفصيلا وجعلهم تاريخ بقية الامم في الدرجـة الثانية فالتلميذ عندهم لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمته الا بعد أن يشرب قلبه عظمة سلفه وحبهم وحب بلادهم . ويقال ان أكثر الالمانيين لا يكادون يتعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمتهم الا إجمالا لأن الواجب في رأيهم على كل انسان ان يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقائهم . وأما معرفة أحوال بقية الامم فانما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة وللتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه الى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول مايغرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقـدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلادُ المصرية جزء منها وبعد هـذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الامم لاسيما المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبتهم الى قومهم ونسبة قومهم اليهم .

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فانها لم تعتبر جنسية قومها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانية) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان سلف هذه الامة الغربية هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الاولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكرهم في القانون وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد علي باشا واسماعيل باشا أميري مصر . وفي السنة الثانية اقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية ٣٠ الحروب الصليبية ٤٠ الدولة العثمانية ٥٠ عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي ٦٠ عظم فرنسا (٧) ارتقاء الروسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقية وما فقدته الدولة العثمانية من أملاكها وتقلب روسيا عليها واضعافها . . . (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أمم أوربا (٢) نمو الحرية السياسية في أوربا (٣) المدنية عند جميع الامم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يعلمه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية « بصمانات ناظر المعارف الخمس » واطمئني له ولها . . .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لايعرفون لهم أمة ولا جنساً ينتمون اليه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده وتجديد فخره . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي نراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان من يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويبغضون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمقتون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلائل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرنؤد والجراكسة وان كان حكامنا منهم ؟ قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فنسميه وطنيا ظاهراً ولكننا في الباطن نفضل عليه المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاسلام فيجب أن تتصلوا مع كل مسلم من أيّ مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحقة) وانا لا نعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب . فهذه الذبذبة والحيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لايحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان القبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دخيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها وينتفع منها سواء كان شرقيا أم غربيا مسلما أم مسيحيا . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على اني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي . ونحن نقول ان هذه غاية لاتدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على مافيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا في مقالة (الجنسية والديانة الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

آثار علمية حديثة

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولعين بالبحث وهو أحمد افندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم للاغنياء وقسم للمتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم في النفقة والبذل والاوهام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . وبحثه في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح ينبه الافكار المستعدة الى السعي في اصلاح الخلل واتقاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ماهم فيه من نافع وضار